أسطورة

تنصُّر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي

يقول أحد رهبان دير السيدة برموس في مؤلفه « الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » [1] « إن المعزّ بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه العزيز بالله وتنصر ولبس زي الرهبان، وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين ». ويذكر ألفرد بتلر في كتابه « كنائس مصر القبطية القديمة » [2] العبارة الآتية [3] وقد ترجمها الاستاذ عنان في كتابه « مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية » [4] بالآتي « وفي هذه المعمودية طبقاً لأسطورة القسيس (أعني قسيس الكنيسة) عُمِّد السلطان المعزّ حينما ارتدَّ الى النصرانية نقلاً عن رواية سمعها من قسيس كنيسة القديس جبريل احدى كنائس دير ابي سيفين ».

ويقول سعادة مرقس باشا سميكه عند كلامه عن كنيسة ابي سيفين [5] « تأسست في القرن السادس ثم هدمت وتجددت في أيام المعز لدين الله الفاطمي في القرن الـ ١٠ م . . . . . وبجانبها كنيسة صغيرة . . . . ومعمودية يقال ان الملك المعزّ لدين الله تعمَّد فيها سرًّا ».

---

(١) ج ١ ص ٢٤٨ طبعة سنة ١٩٢٤ م

(٢) Butler (Alfred J.) . The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford 1884

(٣) «It was in this font, according to the legend of the priest, that the Sultan Mu'izz was baptized on his conversion to Christianity» Butler, the ancient... Vol I. p. 117.

(٤) ص ٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م .

(٥) تقويم الحكومة المصرية سنة ١٩٣١ ص ١٧١ وانظر أيضاً مؤلف بتلر السالف الذكر ج ١ ص ١٢٦ حيث يقول :

"The priest (or abou-s-saimi) added that the Khalif Mu'izz became a christian & was afterwards baptized in the baptistery beside the chapel of St. John".

أما حادثة جبل المقطم فخلاصتها كما يقول بتلر في كتابه بالعبارة [1] التي ترجمها الأستاذ عنان في مؤلفه السالف الذكر فقال « إن الخليفة سمع بأنه قد ورد في انجيل النصارى ان الانسان اذا كان مؤمناً فإنه يستطيع أن ينقل الجبل بكلمة . فأرسل الى افرايم (ابرام) البطريق وسأله عما اذا كانت هذه القصة العجيبة حقيقية. فأجابه بالايجاب. فعندئذ قال له ، قم بهذا الأمر أمام عيني والاَّ سحقت اسم النصرانية ذاته » . فذعر الرهبان وعكفوا على الصلاة في كنيسة المعلقة. وفي اليوم الثالث رأى البطريق العذراء في الحلم تشجعه فقصد في موكب كبير من النصارى وهم يحملون الأناجيل والصلبان الى المكان المعين حيث كان الخليفة وحاشيته، وبعد أن صلى البطريق رفعت الأناجيل والصلبان على دخان البخور ودعوا جميعاً فاهتز الجبل، وانتقل وعندئذ وعد المعز ابرام بأن يمنحه كل ما طلب وأذن له في بناء كنيسة أبي سيفين » .

ولا أدل على أن هذه الرواية أسطورة من الأدلة الآتية :

١ — ان الخليفة المعز لدين الله لم ينزل عن الخلافة قط أثناء حياته بل توفي وهو خليفة

٢ — كانت الصبغة الدينية العميقة تطبع سياسة هذا الخليفة في أفعاله وأقواله . وكان يتسم بسمة الإمامة أكثر مما يتصف بصفة الملك، فكان يضرب على الدنانير مثلاً على إحدى الوجهين « لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو

---

(1) "The Khalif (Mu'azz) having heard that it was written in the gospel of the christians that if a man had faith he could by his word remove a mountain, sent for the patriarch Ephraim, and asked if this strange story were true. On the patriarch answering that it was indeed so written, the Khalif replied, Then do this thing before mine eyes: else I will wipe out the very name of christian. When the tidings spread, great was the consternation among all the churches : a solemn assembly of clergy and monks was held, and prayers with fasting were continued for three days, without ceasing, in al mu'allakah. On the third morning the patriarch, worn out with watching and fasting fell asleep, and saw in a dream the blessed Virgin, to whom he told the matter, and was bidden to be of good cheer.. bearing in procession crosses & gospels & censers.. to the place appointed, where the khalif and his court were assembled before a mountain : and when the patriarch had made solemn prayers, crosses & gospels were lifted on high amid the smoke of burning incense, and as all the people shouted together "Kyrie Eleison" the mountain trembled and removed. Thereon Mu'azz promised to grant Ephriam whatsoever he might desire: and the patriarch demanded the rebuilding of the church of abu-s-Sifain. so the church was rebuilt". Butler, the Ancient... Vol, p. 125.

كره المشركون » وعلى الوجه الآخر « الامام معدّ لتوحيد الإله الصمد المعز لدين الله أمير المؤمنين ضرب بمصر في سنة ٣٥٨ هـ ولقد أصبغ المعز لدين الله على الإمامة لوناً من القدسية . فنجده ينوّه بأقواله وأفعاله وكتبه بمقدرة امامه الروحية الخارقة وكونها إمامة الدنيا والدين معاً[1] . وتحدثنا المصادر التاريخية انه عندما دخل قصره بمصر خرّ ساجداً لله تعالى وصلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل. ثم حمل شعار الدعوة لآل البيت ولواء الشيعة بمجرد ما وطأت قدمه البلاد المصرية فيسأل ابا الطاهر الذهلي القاضي الذي عند ما جلس بجانبه «هل رأيت خليفة أفضل مني » فأجابه بأنه لم يرَ احداً من الخلفاء سواه. وأنه قال عندما قابل اعيانهم « إنه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا للمال، وإنما أراد اقامة الحق والحج والجهاد»[2]. ثم يأمر أئمة المساجد والمؤذنين أن يقولوا في الأذان « حيّ على خير العمل » وأن يكبروا على الجنائز خمساً وأن يقولوا « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام » و «محمد وعلي خير البشر» الى غير ذلك من الدعوات المذهبية[3] التي تجعل ما قيل عنه إنه تنصر سراً وارتدّ عن الاسلام أسطورة .

٣ — وأخيراً لو كانت هذه الرواية حقيقية لما أغفلها العباسيون أعداء المعز ولأثبتوها في مطاعنهم الرسمية كما أثبتوا عدم صحة نسبهم في سنتي ٤٠٢ هـ و سنة ٤٤٤ هـ فأغفالها منهم ومن المسلمين المؤرخين، يقطع لدينا بتزويرها واختلاقها .

ولعلّ هذه الاسباب وغيرها هي التي حملت صعادة سميكة باشا ان يوافقنا على رأينا بأنها أسطورة ، ويقرّر في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠ اغسطس سنة ١٩٣١ بأنه سيحذفها من تقويم الحكومة في الطبعة المقبلة وقد نفذ وعده فعلاً .

والحقيقة التاريخية هي ان المعز لدين الله جرياً على سياسة التسمُّح مع أهل الذمة، أذن للبطريق ابرام بتعمير كنيسة القديس مرقوريوس والمعلقة بالقسطاط ، لا ايماناً بالمعجزة القبطية كما يدعون ، بل جرياً وراء سنة المسلمين وما يأمرهم به الدين الحنيف .

عنايت مصطفى مشرفة

---

(١) انظر رسالة المعز لدين الله للحسن الاعظم وتجريد السيف لمقفى المقريزي اتعاظ الحنفا ص ١٣٣ — ١٤٣

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٤٨ والمقريزي اتعاظ الحنفا ص ٨٨ (٣) ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في اخبار الاندلس ص ٢٣١ والمقريزي السلوك ج ٢ ص ١٦٧ واتعاظ الحنفا ص ٩٠